* The Lebanese Journal For Islamc Studies
* Issue No First-First Year
2021-2022
* University Of Tripoli/Lebanon
journal@ut.edu.lb

* المجلة اللبنانية للعلوم الإسلامية
* السنة الأولى - العدد الأول
1444-1443
* جامعة طرابلس / لبنان
www.ut.edu.lb

E- ISSN : 2709-460X
P- ISSN : 2960-1622

تاريخ الإرسال: 3-3-2020 تاريخ القبول: 16-6-2020 تاريخ النشر: 29-1-2022

البحث الثاني

أثر القرائن في توجيه دلالة المفردة القرآنية

The Impact Of The Synonym In Directing The Significance Of the Quranic Word

د. فادي هاني شحيبر

Dr. Fadi Hani Shuhaiber

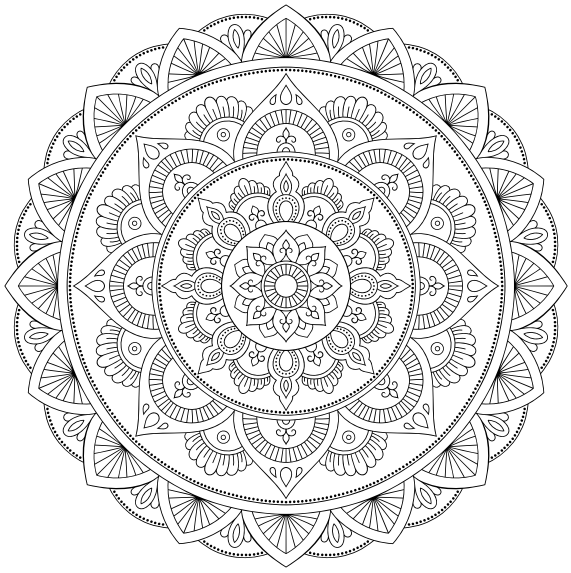

ملخص البحث

لا خلاف في أنَّ المفردة هي الوحدة الأولى في تركيب أي جملةٍ تؤدِّي معنىً ما، والمنطلق الأوَّل في فهم سائر التَّراكيب الكلاميَّة إنَّما هو فهم المفردة بمعناها الأصليِّ ومعناها السِّياقيِّ، وهذا ما يفسِّر عناية العلماء منذ مطلع القرن الثَّاني الهجريِّ إلى عصرنا الحاضر بوضع المعجمات اللُّغويَّة على اختلاف مناهج واضعيها، ويُفسِّر كذلك انصراف بعضهم لتدوين كتبٍ مفردةٍ تملأ المكتبة الإسلاميَّة في معاني مفردات القرآن الكريم خصوصًا، سواء في ذلك كتب المفردات، ككتاب «مفردات ألفاظ القرآن» للرَّاغب الأصفهاني، و«عمدة الحفَّاظ» للسَّمين الحلبي.. وغيرها، أو كتب الوجوه والنَّظائر، ككتاب «الوجوه والنَّظائر» للعلَّامة الدَّامغاني، و«نزهة الأعين النَّواظر» للإمام ابن الجوزي.. وغيرها.

هذا وإنَّ المفردة الواحدة في القرآن الكريم قد تُستعمل على عدَّة أوجه، وقد تصل معاني المفردة الواحدة إلى عشرين معنىً أو يزيد، ولا يمكن التَّوصُّل إلى المعنى المراد على وجه التَّحديد إلَّا بمعونة القرائن المحتفَّة باللَّفظة، مقاليَّةً، أو حاليَّةً، أو عقليَّةً.

وقد اعتنى المفسِّرون عناية خاصَّة بملاحظة القرائن المحيطة بالمفردة القرآنيَّة بغرض تحديد مراد الله تعالى من كلامه، واستطاعوا من خلال هذه المنهجيَّة أن يُعيِّنوا المعنى الدَّقيق والمناسب لسياق المفردة الواحدة.

وسيدرس هذا البحث الدَّور الكبير للقرائن في توجيه دلالة المفردة القرآنيَّة، ويسلِّط الضَّوء على اعتماد المفسِّرين عليها في هذا الصَّدد، مع دعم هذه الدِّراسة بنماذج وتطبيقاتٍ تحليليَّة تدلِّل عليه.

الكلمات المفتاحيّة: التراكيب الكلامية، الدلالة، السياق، القرائن المقالية، القرائن الحالية، القرائن العقلية.

* * *

Research Summary

There is no doubt that the word is the first unit in constructing any meaningful sentence, and the first starting point in understanding all verbal structures of speech is to understand the word within its original and contextual meaning.

This explains why scholars, with different curricula, have been interested in developing linguistic lexicons since the beginning of the second Hijri century until now.

Also, this explains that some scholars had spent their time in writing featured books that fills up the Islamic library particularly in the meanings of Qur'anic vocabulary. These books are specialized in vocabulary units and variants and parallels. "Mufradatu Alfazi Alqur'an" by AL-Ragheb Al-Asfahani, and "Omdatul- Huffaz" by Al-Samin Al-Halabi are obvious examples of the vocabulary unit books. While "Al-Wujuh wa Al-Naza'er" by Al-Damghani, and "Nuzhatul -A'yun Al-Nawazir" by Imam Ibn Al-Jawzi are obvious examples of the variants and parallels books.

Moreover, a single Qur'anic word could be used in several variants, and this single word may have twenty meanings or more, therefor it is not possible to reach the intended specific meaning without using Indications that come with the word, whether the word is verbal, circumstantial, or reasonable.

The Qur'anic commentators were concerned with observing indications that come with the Quranic word in order to determine the intention of Allah from his holy Word (Quran), and through this methodology, they have been able to identify the exact and appropriate meaning of the context of a single Qur'anic word.

This research studies the significant role of indications in directing the implication of the Qur'anic word; and will shed light on how commentators depend on indications. As well as this study is supported by models and analytical applications.

keywords: verbal structures, implication, context, verbal indications, circumstantial indications, reasonable indications.

❊ ❊ ❊

مقدِّمة

الحمد لله الَّذي أنزل القرآن نورًا وهدىً للنَّاس، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ المبعوث ليُخرج الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات من الظُّلمات إلى النُّور، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإنَّ من ضرورات التَّفسير إحاطةَ المفسِّر بمعاني المفردات القرآنيَّة، حيث إنَّ فهم المفردة فهمًا دقيقًا يقود إلى تحديد مراد الله تعالى من كلامه.

والمفردات سواءٌ أكانت أسماءً أم حروفًا أم أفعالًا قد تحملُ معاني ودلالاتٍ مختلفة، ولا يمكن التَّوصُّل إلى المعنى المراد منها إلَّا من خلال النَّظر في القرائن المحتفَّة بها، لفظيَّةً أو حاليَّة كالسِّياق، والإطار الزَّمني الَّذي نزلت فيه الآية، وما إلى هنالك.

وقد تنبَّه المفسِّرون إلى هذا المنحى وأولَوه الكثير من الاهتمام، وهذا أمرٌ ظاهر عند أدنى مطالعةٍ لكُتب التَّفسير قديمها وحديثها، وهو ما سيُظهره البحثُ جليًّا بإذن الله.

أهمِّيَّة البحث: تأتي أهمِّيَّة هذا البحث من الأمور الآتية:

الأوَّل: تسليط الضَّوء على أحد أهمِّ القواعد الَّتي تبنَّاها المفسِّرون في التَّعاطي مع مفردات القرآن، وبيان دور القرينة في تعيين المعنى المراد من جملة المعاني الَّتي تحملها المفردة الواحدة.

الثَّاني: كون هذا المبحث مرفودًا بالأمثلة التَّطبيقيَّة إلى جانب التَّنظير والتَّأصيل لها.

أسباب اختيار الموضوع:

تتلخَّص في إظهار أهمية الاحتكام للقرائن في تحديد معنى المفردة القرآنية، وفهم النصوص الشرعية واستنباطها الأحكام منها، وبيان أن مراعاتها من أُسس التفسير السليم للنصوص الشرعية.

الدِّراسات السَّابقة:

على الرَّغم من الإفادة الكبيرة الَّتي حقَّقها المفسِّرون من القرائن في فهم المفردة ثمَّ الجملة القرآنيَّة كما يظهر من خلال استقراء كتب التَّفسير إلَّا أنَّني لم أقف إلا على بحثين:

الأول: القرائن اللفظية وأثرها في توجيه المعنى من خلال سورة الكهف للباحث (موسوني يحيى) وآخَرون، وهو بحث أعدّ للتخرج من قبل عدة طلاب في جامعة البويرة/ ٢٠١٥م.

الثاني: أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط للدكتور محمد علي حسين.

الثالث: أثر القرائن اللفظيّة في تحديد المعنى – الزمخشريّ نموذجًا – دراسة وصفية تطبيقية للباحثة سلمى موجاري، وهي رسالة ماجستير مقدمة في جامعة العربي بن مهيدي أم البراقي عام ٢٠١٦م.

وأمَّا بيان معاني المفردات القرآنيَّة بدون التقعيد لدور القرائن في ذلك فقد حظي بالكثير من العناية والتَّأليف، ومن تلك الكتب الَّتي انتفعت بها في البحث: (الوجوه والنَّظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها) للعلَّامة الدَّامغاني، و(مفردات ألفاظ القرآن) للرَّاغب الأصفهاني، و(نزهة الأعين النَّواظر في علم الوجوه والنَّظائر) للإمام ابن الجوزي، و(بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز) للفيروزآبادي، وغيرها كثير جدًّا.

2

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التَّحليلي والتطبيقي وفق الخطَّة الآتية:

خطَّة البحث:

مقدِّمة.

المطلب التَّمهيدي؛ ويتضمَّن:

أوَّلًا: تعريف القرينة لغة واصطلاحًا، وأنواعها.

ثانيًا: المقصود بالمفردة، وأهمِّيَّة دراستها.

المطلب الأوَّل: أهمِّيَّة القرائن في تحديد المعنى المراد من المفردة القرآنيَّة.

المطلب الثَّاني: أمثلة تطبيقيَّة لأثر القرائن في توجيه دلالة المفردة القرآنيَّة.

خاتمة.

* * *

المطلب التَّمهيدي
التَّعريف بمصطلحات البحث

أوَّلًا: تعريف القرينة لغةً واصطلاحًا:

القرينة لغةً: القاف والراء والنون أصلان صحيحان يدلان على معنيين[(١)]:

الأوَّل: جمع شيءٍ إلى شيءٍ آخر، ومنه الحديث «أنَّه ﷺ نهى عن القِران»[(٢)]، أي: أن يجمع الرَّجل بين تمرتين في لقمة واحدة، وهو من قبيل الأدب في الأكل وترك الشَّرَه[(٣)]، ومثله المصاحبة، ومنه سُمِّي الصَّاحب قرينًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١﴾ [الصافات: ٥١]، أي: الصاحب في الدُّنيا[(٤)].

الثَّاني: النتوء بقوَّةٍ وشدَّة، ومنه القَرْنُ للشَّاة وغيرها، وهو ناتئٌ قويٌّ[(٥)].

والمعنى الأوَّل هو الأقرب إلى المعنى الاصطلاحيِّ للقرينة كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

تعريف القرينة اصطلاحًا: كان للفقهاء والأصوليين والمفسرين محاولات في تعريف القرينة ببيان بعض وظائفها أو آثارها أو بيان بعض ضوابطها؛ ولعلَّ ذلك يرجع إلى وضوح

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادَّة (قرن) ص٧٧٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في الأطعمة، باب: القران في التمر، من حديث جَبَلة بن سُحَيم رضي الله عنه، برقم (٥٠٢٦)، ومسلم في صحيحه في الأشربة، باب: نهي الآكل مع أصحابه عن قِران تمرتين ونحوهما إلا بإذن أصحابه، برقم (٢٠٤٥)، واللَّفظ لهما.

(٣) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي: ١٣/ ٢٢٩.

(٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي ٣/ ٥٤٢.

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور مادَّة (قرن) ١٣/ ٣٣١.

2

معناها في أذهانهم، أو أنَّهم اكتفوا بالصُّور والتَّطبيقات الَّتي أوردوها كأمثلةٍ عليها، أو لأنها تدقّ عن العبارات وتأبى على من يحاول ضبطها بها كما ذكر إمام الحرمين الجويني[١].

وقد تناولها بعض علماء الاصطلاح العام بالتَّعريف كأبي البقاء الكفَوي[٢] رحمه الله تعالى بقوله: «هي ما يُوضِّح عن المراد لا بالوضع»[٣]، ويؤخذ على هذا التَّعريف أنَّه يقصر وظيفة القرينة على إيضاح ما خفي من المراد فقط.

وقد عرَّفها الأستاذ مصطفى الزَّرقا رحمه الله تعالى بقوله: «هي كُلُّ أمارةٍ ظاهرةٍ تُقارنُ شيئًا خفيًّا فتدلُّ عليه، وهي مأخوذةٌ من المقارنة بمعنى المرافقة والمصاحبة»[٤]، وأُخِذ عليه أنَّه فسَّر القرينة بالمرادف (الأمارة)، كما أنَّه لم يتناول جميع القرائن، وإنَّما اكتفى بالقرينة الظاهرة دون القرينة المعنويَّة (الخفيَّة)، بالإضافة إلى قصره أثر القرينة على الدلالة على الأشياء الخفيَّة[٥].

ثمَّ تناول القرينة بالتعريف جملةٌ من الباحثين المعاصرين بتعريفات متقاربة، جمعت معانيها بقولي: «ما يحتفُّ بالنَّصِّ فيؤثِّر في دلالته، أو ثبوته، أو إحكامه، أو ترجيحه»[٦]، وقد عمَّ التَّعريفُ فتناول جميع القرائن (الحاليَّة والمقاليَّة)، وبيَّنت خصائصها (الدلالة والمصاحبة والتأثير)، ووضَّحت وظائفها ومسالكها في النُّصوص الشَّرعيَّة.

وأشيرُ هنا إلى أنَّ العلماء قسَّموا القرائن عدة أقسام باعتبارات مختلفة، كالقوة،

---

(١) انظر: البرهان في أصول الفقه للجويني: ص٣٧٣.

(٢) أبو البقاء الكفوي (.... ـــ ١٠٩٤هـ): أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، من قضاة الحنفيَّة، ولي القضاء في تركيا، ثم القدس وبغداد، وبعدها عاد إلى استانبول وتوفي، ولم تعرف سنة ولادته، من كتبه (الكُلِّيَّات)، وله كتب أخرى باللُّغة التُّركيَّة.
انظر: إيضاح المكنون لاسماعيل باشا ٢/ ٢٨٠، والأعلام للزركلي ٢/ ٣٨.

(٣) انظر: الكُلِّيَّات للكفوي ص٢٠٦.

(٤) انظر: المدخل الفقهي العام للأستاذ مصطفى الزَّرقا ٢/ ٩٣٦.

(٥) انظر: أثر القرائن في العقود في الفقه الإسلامي ص٣٤.

(٦) انظر: أثر القرائن في العقود في الفقه الإسلامي ص٣٧.

والاعتبار، والمصدر، والهيئة، والعمل، والظُّهور، والاستقلال... إلخ[١]، ومن تلك الأنواع:

أوَّلًا: القرينة القاطعة: ويسمونها القوية أو الأمارة الظاهرة: وهي (الأمارة البالغة حدّ اليقين، أو هي الأمارة الواضحة بحيث يصبح الأمر في حيّز المقطوع به)[٢].

ثانيًا: القرينة الضعيفة: وهي قرينة ذات دلالة على ما تصاحبه، ولكن في دلالتها احتمال غير بعيد، فيمكن عدّها دليلًا يترجح به أحد أمرين متعارضين[٣].

ثالثًا: القرينة الكاذبة: ويسمونها القرينة المُتوهّمة أو المُلغاة، وهي التي لا تُفيد شيئًا من العلم ولا الظن، ولا يترتب عليها حكم، فليس لها دلالة[٤].

وتقسم بحسب اعتبارها (معتبرة، وغير معتبرة):

أوَّلًا: القرائن المعتبرة: وهي القرائن التي ثبتت حجّيتها وتوافرت فيها شروط عملها، وتنقسم إلى قرائن مفيدة للقطع، وقرائن مفيدة للظن[٥].

فأمّا القرائن المفيدة للقطع: فمثالها قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠﴾ [الحجر ٣٠]، فإنّ لفظ ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ قرينة مؤكدة للعموم قاطعة لاحتمال التخصيص[٦].

وأما القرائن المفيدة للظن: فمثالها قوله ﷺ: «لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»[٧].

ثانيًا: القرائن غير المعتبرة: وهي القرائن التي لم تثبت حجّيتها، ولم تتوافر فيها

---

(١) انظر: القرائن عند الأصوليين للدكتور محمَّد المبارك ١/ ١٠٣ وما بعدها، والقرائن وأهمِّيَّتها في بيان المراد من النَّص ص٦٤ وما بعدها.

(٢) انظر: مجلة الأحكام العدلية، مادة رقم (١٧٤١): ١/ ٣٥٣.

(٣) انظر: القرائن عند الأصوليين للدكتور محمد المبارك:١/ ٩٣.

(٤) انظر: القرائن عند الأصوليين للدكتور محمد المبارك:١/ ٩٤.

(٥) انظر: القرائن عند الأصوليين للدكتور محمد المبارك:١/ ٩٥.

(٦) انظر: تفسير البيضاوي:١/ ٥٣٠.

(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب التسمية في الوضوء، من حديث أبي هريرة=

2

شروط عملها، و هي القرينة الكاذبة أو المُتوهّمة أو المُلغاة التي سبق ذكرها آنفًا.

وتنقسم القرينة من حيث مصدرها ثلاثة أقسام وهي:

أوَّلًا: القرينة الشرعية: ويمكن تعريفها بأنها: القرينة التي أقامها الشارع للدلالة على أمرٍ اتصل بها[١].

ثانيًا: القرائن العقلية: هي عبارة عن لازمٍ عقليٍّ للدليل الذي اتصل بها، بحيث يستنتجها العقل في جميع الظروف والأحوال[٢].

ثالثًا: القرائن العرفية: هي التي تكون العلاقة بينها وبين مدلولها قائمةً على العرف والعادة، سواء أكان عرفًا شرعيًّا أم لغويًّا أم استعماليًّا عمليًّا[٣].

رابعًا: القرائن الحسيَّة: وهي القرائن التي يكون مصدرها الحس، وقد ذكر الأصوليون أنّ العامّ يمكن أن يُخصَّص بالقرينة الحسيّة، فإذا ورد في الشرع لفظٌ عامٌّ وشهد الحسُّ باختصاصه ببعض أفراده كان ذلك مخصَّصًا له[٤].

وتقسم من حيث هيئتها إلى:

أوَّلًا: القرائن المقالية؛ وهي ألفاظٌ تقترن بالشيء فتبيّن المراد منه، أو تقوّي دلالته أو ثبوته[٥].

ثانيًا: القرينة الحاليّة: هي التي لا رسْم لها في الكلام، وإنما تُفهم من أحوال الكلام

=ﷺ، برقم (٣٩٩)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الطهارة، باب النية في الطهارة الحكمية، من حديث أبي هريرة ﷺ، برقم (١٨٢)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

(١) انظر: حجية القرائن للباحث عدنان عزايزة: ص٤٠.

(٢) انظر: القرائن عند الأصوليين للدكتور محمد المبارك:١/ ٩٥، وميزان الأصول للسمرقندي:ص١٠٣.

(٣) انظر: المدخل الفقهي العام للزرقا:٢/ ٩٣٦، والقرائن عند الأصوليين للدكتور محمد المبارك:١/ ٩٥.

(٤) انظر: المستصفى للغزالي:١/ ٢٤٥، والمحصول للرازي:٣/ ٧٥.

(٥) انظر: القرائن عند الأصوليين للدكتور محمد المبارك:١/ ١٤٣.

أو المتكلّـم أو المخاطِب[١].

ثانيًا: المقصود بالمفردة، وأهمِّيَّة دراستها

المفـردة: لفـظٌ مأخـوذٌ مـن الإفـراد والانفـراد والتفـرُّد، وهـو كالواحـد مـن الجماعـة، يقـال: أفردتـه، أي: عزلتـه، يقـال: أفـراد النُّجـوم، أي: الـدَّراري الَّتـي تطلـع في آفـاق السَّـماء منفـردةً عـن سـائر النُّجـوم[٢].

والفَـرود مـن الإبـل: المنفـردة المتنحِّيـة في المرعـى والمـشرب، ومثلهـا: ظبيـةٌ فـاردٌ، أي انقطعـت عـن القطيـع[٣].

وعليـه فالمقصـود بالمفـردة مـن الألفـاظ: الوحـدة الكلاميَّـة مـن تركيـب الجملـة، وهـي قـد تكـون اسـمًا، أو فعـلًا، أو حرفًـا.

وعُرِّفـت المفـردة بأنَّهـا: مـا لا يـدلُّ جـزؤه عـلى جـزء معنـاه، ويُقابلهـا التَّركيب؛وهـو مـا يـدلُّ جـزؤه عـلى جـزء معنـاه[٤].

وعرَّفهـا الدُّكتـور أحمـد ياسـوف بأنَّهـا: «المجموعـة الصوتيَّـة الَّتـي تـدلُّ عـلى معنـى، وهـذه المجموعـة هـي وحـدةٌ كلاميَّـةٌ تقـوم مقـام الجـزء مـن الـكلِّ في الجملـة، وهـي الجـزء الأوَّليُّ في بنـاء النَّظـم، والوحـدةُ المكوِّنـة لـه، فـلا يغنـي أحدهمـا عـن الآخـر»[٥].

واكتسـبت المفـردة أهمِّيتهـا مـن كونهـا أصـل أيِّ تركيـب كلامـيٍّ، ولا يمكـن التوصُّـل إلى معـاني التَّراكيـب إلَّا مـن خـلال معرفـة معـاني المفـردات.

قـال ابـن الأثـير[٦] **رحمـه الله تعـالى**: «الألفـاظ تنقَسـم إلى مفـردةٍ ومركَّبـة، ومعرفـة

---

(١) القرائـن الصارفـة للأمـر عـن حقيقتـه للباحـث محمـد الحفيـان:ص١٢٧. وللتوسـع في أنواعهـا مـع الأمثلـة راجـع كتـابي أثـر القرائـن في العقـود في الفقـه الإسـلامي: ص ٧٠.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور مادَّة (فرد) ١١/ ١٤٩.

(٣) انظر: الصِّحاح للجوهري مادَّة (فرد) ص٥١٨، و لسان العرب لابن منظور مادَّة (فرد) ١١/ ١٤٩.

(٤) انظـر: كشَّـاف اصطلاحـات الفنـون والعلـوم للتهانـوي ٢/ ١٢٧٤، ومعجـم اللُّغـة العربيَّـة المعـاصرة للدُّكتـور أحمـد مختـار مـادَّة (فـرد) ٣/ ١٦٨٨، والمعجـم الوسـيط مـادَّة (فـرد) ٢/ ٦٨٠.

(٥) جماليَّات المفردة القرآنيَّة للشَّيخ أحمد ياسوف ص٢٠.

(٦) ابـن الأَثِـير (٥٤٤ ـــ ٦٠٦ هـ): المبـارك بـن محمـد بـن محمـد بـن محمـد بـن عَبـد الكريـم الشـيبانيُّ=

2

المفـردة مقدَّمـةٌ عـلى معرفـة المركَّبـة؛ لأنَّ التَّركيـب فَـرعٌ عـن الإفـراد»[١].

ومـن هنـا اشـتغل العلـماء بوضـع المعجمات[٢] بغـرض جمـع مفـردات اللُّغـة، ومحاولـة إحصائهـا، وشرحهـا، والنَّـصِّ عـلى معانيهـا، والاستشـهاد لهـا بمختلـف الشَّـواهد مـن القـرآن، والسُّـنة، وأشـعار العـرب[٣].

وإلى جانـب وضـع المعجـمات لمفـردات اللُّغـة عمومًـا عُنـي العلـماء بالمفـردة القرآنيَّـة عـلى وجـه الخصـوص، فدوَّنـوا العديـد مـن الكتـب في هـذا الشَّـأن، سـواء في ذلـك كتـب المفـردات، أو كُتـب الوجـوه والنَّظائـر.

وتُعـدُّ إجابـات عبـد الله بـن عبَّـاس رضي الله عنهـما عـلى أسـئلة نافـع ابـن الأزرق[٤] أولى الرَّسـائل الَّتـي تناولـت بيـان غريـب مفـردات القـرآن استشـهادًا بشـعر العـرب، والَّتـي سـمِّيت: «مسـائل نافـع بـن الأزرق في القـرآن»[٥].

=الجـزريُّ، أبـو السَّـعادات، محـدِّثٌ لغـويٌّ أصـوليٌّ، ولـد ونشـأ في جزيـرة ابـن عمـر، ثـمَّ انتقـل إلى الموصـل واسـتقرَّ فيهـا إلى أن تُـوفي.

من كتبه: (النِّهاية في غريب الحديث والأثر)، و(جامع الأصول في أحاديث الرَّسول)، وغيرها.

انظر: وفيـات الأعيـان لابـن خلـكان ٤/ ١٤١، وسـير أعـلام النُّبـلاء للذهبـي ٢١/ ٤٨٨، والأعـلام للـزركلي ٥/ ٢٧٢.

(١) النِّهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٣.

(٢) وَأول مـن ألَّـف معجمـاً شـاملاً هـو الخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي الَّـذي عـاش في القـرن الثَّـاني الهجـري، وألَّـف معجـم العـين، وتتابـع بعـده تأليـف المعاجـم إلى العَـصر الحـاضر. انظـر: الرَّامـوز عـلى الصِّحـاح للسـيد محمـد بـن السـيد حسـن ص١٤.

(٣) انظر: الرَّاموز على الصِّحاح للسيد محمد بن السيد حسن ص١٦.

(٤) نافـع بـن الأزرق (٠٠٠ ـــ ٦٥ هـ): نافـع بـن الأزرق بـن قيـس الحنفـي، البكـري الوائـلي، الحـروري، أبـو راشـد: رأس الأزارقـة، وإليـه نسـبتهم، كان أمـير قومـه وفقيههـم، مـن أهـل البـصرة. صحـب في أول أمـره عبـد الله بـن عبَّـاس رضي الله عنهـما، وكان هـو وأصحـاب لـه مـن أنصـار الخـروج عـلى عثـمان، ووالـوا عليًّـا، إلى أن كانـت قضيـة التحكيـم بـين عـليٍّ ومعاويـة رضي الله عنهـما، فاجتمعـوا في (حـروراء) وهـي قريـة مـن ضواحـي الكوفـة، ونـادوا بالخـروج عـلى عـليٍّ، فعرفـوا هـم ومـن تبـع رأيهـم بالخـوارج وكان نافـع جبَّـارًا فتَّـاكًا، قاتلـه المهلـب بـن أبي صفـرة إلى أن قُتِـل عـلى مقربـةٍ مـن الأهـواز. انظـر: لسـان الميـزان لابـن حجـر العسـقلاني ٦/ ١٤٥، والأعـلام للـزركلي ٧/ ٣٥١.

(٥) انظر: الإتقان للسيوطي ٢/ ٦٧.

المطلب الأوَّل
أهمِّيَّة القرائن في تحديد المعنى المراد من المفردة القرآنيَّة

يستخدم القرآن الكريم المفردة على أصل وضعها اللُّغويِّ أحيانًا، كلفظ (وَسَقَ) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧﴾ [الانشقاق ١٧]، فقد جاء هذا اللَّفظ هنا على أصله اللُّغويِّ، فمعنى (وَسَقَ) لغةً: جمع وضمَّ، يقال وسَقَه يسِقُه وسْقًا ووُسوقًا: ضمَّه وجمَعَه[1].

وهو على المعنى نفسه في هذه الآية الكريمة، ومعناه: واللَّيل وما جمع، وقيل ذلك في اللَّيل: لأنَّ الدَّوابّ تأوي فيه وتجتمع، أو لأنَّه إذا هبط بظلمته جمع كُلَّ شيءٍ كالجبال، والأشجار، والبحار، والأرض... إلخ[2].

وفي بعض الأحيان ينقل القرآن الكريم المفردة عن أصل وضعها إلى معنى أو معانٍ أخرى، يستوي في ذلك ما استخدمه منها بصبغةٍ دينيَّة كمصطلحات العقيدة والتَّشريع[3]، وما جاء بمعنى مجازيّ، وهو نوع من أنواع التأويل عند علماء الأصول والتفسير واللغة.

فلفظ (الصَّلاة) مثلًا يُراد منه في أصله اللُّغويِّ: الدُّعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذۡ

---

(١) انظر: تهذيب اللُّغة للأزهري مادَّة (وسق) ٩/ ١٨٥، وتاج العروس للزبيدي مادَّة (وسق) ٢٦/ ٤٦٩.

(٢) انظر: الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ١٥٨، وزاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٤٢١، وروح المعاني للألوسي ١٥/ ٢٩٠.

(٣) انظر: المفردة القرآنيَّة بين إبداع اللَّفظ وإبداع الدلالة للدُّكتور ممدوح إبراهيم محمَّد ص٤٢٥.

2

مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ [التوبة ١٠٣]، أي: ادع لهم[(١)].

وقد نقله القرآن في أكثر المواطن إلى معنى تشريعيٍّ خاصٍّ وهو: الأقوال والأفعال المخصوصة المفتتحة بالتَّكبير والمختتمة بالتَّسليم في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ [البقرة ١١٠][(٢)].

وأحيانًا ينقل اللَّفظ إلى معانٍ عاديَّة غير تشريعيَّة، كلفظ (الرَّحمة) الَّذي ورد في القرآن على أربعةَ عشر وجها، فورد بمعنى (الغيث) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾ [الأعراف٥٧]، وبمعنى (الجنَّة) في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران ١٠٧]، وبمعنى (النُّبوَّة أو الرِّسالة) في قوله تعالى: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾ [الزخرف:٣٢] وغير ذلك من المعاني[(٣)].

والعمدة في تمييز المعنى المراد من المفردة القرآنيَّة وتحديده هو النَّظر في سياق الآية، وسبب نزولها، والأحوال الَّتي تنزَّلت فيها، وما احتفَّ بها من ألفاظٍ توجِّه معناها، وغير ذلك من القرائن.

وفائدة ملاحظة القرائن لا تقتصر على فهم معنى المفردة بذاتها فحسب، بل تفيد في بيان المعنى الإجماليِّ للآية أو الآيات، فمنطلق فهم الآية هو فهم المفردة، وفهمها لا يتمُّ إلَّا باستحضار المفسِّر لسائر القرائن المحتفَّة بالمفردة الواحدة.

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١٤/ ٤٥٤، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٤٦٧، والبحر المحيط للزركشي ٥/ ٤٩٩.

(٢) انظر: الوجوه والنَّظائر للدَّامغاني ص٤٥٨، وبصائر ذوي التَّمييز للفيروزآبادي ٣/ ٤٣٦.

(٣) انظر: الوجوه والنَّظائر للدَّامغاني ص٣٤٠، ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي٣٣١.

وفي ذلك يقول ابن دقيق العيد[١] رحمه الله تعالى: «أمَّا السِّياق والقرائنُ: فإنهَّا الدَّالَّة على مُرادِ المتكلِّم من كلامه، وهي المرشدةُ إلى بيان المجملات، وتَعيِين المحتمَلات، فَاضبط هذه القاعِدة فإنَّها مُفيدةٌ فِي موَاضعَ لا تحصَى»[٢].

ومن هنا كانت دراسة القرائن وبيان أثرها في فهم كلام الله تعالى من الأهمِّيَّة بمكان، ولا يخلو فهمٌ من الخلل إلَّا من خلال النَّظر في القرائن، وهذا ما انتهجه العلماء في تفسيرهم لكتاب الله، وسيظهر بجلاء من خلال الأمثلة التَّطبيقيَّة الَّتي سأورِدها في المطلب الآتي.

* * *

(١) **ابن دَقِيق العِيد (٦٢٥ ــــ ٧٠٢ هـ)**: محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقيّ الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض مجتهد، من أكابر العلماء بالأصول، ولد بمدينة ينبع على شاطئ البحر الأحمر، وتعلَّم بدمشق والإسكندريَّة، ثم استقرَّ في القاهرة، وولي القضاء فيها إلى أن توفي.

من كتبه: (إحكام الأحكام)، و (الإلمام بأحاديث الأحكام)، و(تحفة اللبيب في شرح التقريب)، وغيرها.

انظر: تذكرة الحفَّاظ للذهبي ٤/ ١٨٢، والدُّرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ١/ ٢٦٢، والأعلام للزركلي٦/ ٢٨٣.

(٢) انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ٢/ ٢١.

المطلب الثَّاني
أمثلة تطبيقيَّة لأثر القرائن في توجيه دلالة المفردة القرآنيَّة

المثال الأوَّل: لفظ (السَّكن) في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم ٢١].

فالسَّكن ضدُّ الحركة، يقال: سكن الشَّيء سكونًا إذا ذهبت حركته[(١)]، وهو حقيقةٌ في الموضع أو الدَّار الَّتي يتَّخذها الرَّجل لنفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [النحل ٨٠]، أي: مواضع وبيوتًا تأوون إليها[(٢)].

ويُستعار لفظ السَّكن للأُنس، وفرح النَّفس، وزوال الاضطراب والوحشة والكمد[(٣)]، وهو المعنى المراد بـ(السَّكن) في قوله تعالى في هذه الآية: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾، أي: ليحصل لكم الفرح، وهدوء النَّفس، وراحة القلب، والأُنس إليهنَّ[(٤)].

والَّذي صرف اللَّفظ هنا إلى هذا المعنى قرينتان:

---

(١) انظر: جمهرة اللُّغة لابن دريد مادَّة (سكن) ٢/ ٨٥٦، ولسان العرب لابن منظور مادَّة (سكن) ٣/ ٢١١.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ١٧/ ٢٦٧، وبحر العلوم للسمرقندي ٢/ ٢٨٤، والهداية إلى بلوغ النِّهاية ٦/ ٤٠٥٨.

(٣) انظر: الكشَّاف للزمخشري ٣/ ٤٧٣، والتَّحرير والتَّنوير لابن عاشور ٢١/ ٧٢.

(٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام ٢/ ٦٥١، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/ ٣٥٩، وتفسير السَّمعاني ٤/ ٢٠٤، والتَّحرير والتَّنوير لابن عاشور ٢١/ ٧٢.

الأولى: تعدية السَّكن بحرف الجرِّ (إلى)، فلفظ (سكن) إذا عُدِّي بـ (إلى) انصرف إلى السَّكن القلبيِّ، وإذا عُدِّي بـ (عند) حُمِل على السَّكن الجسمانيِّ.

جاء في مفاتيح الغيب: «يقال: سكن إليه للسكون القلبي، ويقال: سكن عنده للسكون الجسماني؛ لأنَّ كلمة (عند) جاءت لظرف المكان، وذلك للأجسام و(إلى) للغاية، وهي للقلوب»[(١)].

الثَّانية: قوله تعالى: ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾، وهي على الرَّاجح بمعنى: من جنسكم[(٢)]، وهي تُفيد أنَّ السَّكن في الآية للقلب؛ لأنَّ كون المرأة والرَّجل من الجنس نفسه سبب حصول السَّكن القلبي، لأنَّ الجنسين المختلفين لا يسكن أحدهما إلى الآخر، ولا يميل قلبه إليه[(٣)].

المثال الثَّاني: لفظ (الإسراف) في قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾[المائدة: ٣٢].

فأصل الإسراف والسَّرَف: تجاوز الحدِّ، وهو ضدُّ القصد[(٤)]، ومنه في الحديث: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلّم مرَّ بسعدٍ وهو يتوضَّأ، فقال: «مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ؟» قال: أَفي الوضوء سَرَفٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ»[(٥)].

---

(١) ٢٥/ ٩١، وانظر: روح المعاني للألوسي ١١/ ٣١، والتَّحرير والتَّنوير لابن عاشور ٢١/ ٧٢.

(٢) **وقيل**: المقصود خلق حوَّاء من ضلع آدم عليه السلام. انظر: جامع البيان للطبري ٢٠/ ٨٦، والنُّكت والعيون للإمام الماوردي ٤/ ٣٠٥.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٧، ومدارك التَّنزيل للنسفي ٢/ ٦٩٥، واللُّباب في علوم الكتاب للنعماني ١٥/ ٣٩٦.

(٤) انظر: تهذيب اللُّغة للأزهري مادَّة (سرف) ١٢/ ٢٧٧، والصِّحاح للجوهري مادَّة (سرف) ص١٣٧٣.

(٥) أخرجه أحمد في المسند، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، برقم (٧٠٦٥)، وابن ماجه في سُننه في الطَّهارة وسُننها، باب: ما جاء في القصد في الوضوء، برقم (٤٢٥)، وضعَّفه البوصيري في مصباح الزَّجاجة ١/ ٦٢. وقال مغلطاي في شرحه على سنن ابن ماجه ص٣٠٤: «هذا حديث=

2

واشتهر لفظ الإسراف في الخروج عن الاعتدال في الإنفاق[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان ٦٧].

وقيل للعاصي: مسرفٌ؛ لأنَّه تجاوز حدود الله ومحارمه، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣][٢].

وقد صرف كثيرٌ من أهل التَّفسير لفظ (الإسراف) في قوله تعالى: ﴿أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ إلى تجاوز حدود الله بسفك الدِّماء، وقتل النَّفس بغيرِ حقٍّ[٣].

واعتمدوا في ذلك على قرينة السِّياق من وجهين:

أوَّلًا: لأنَّ الآية وردت في سياق الحديث عن القتل، والتَّشديد على بني إسرائيل في شأنه، وذلك في قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾ [المائدة: ٣٢] أي: بكثرة القتل.

ثانيًا: لأنَّ الآية سُبقت بذكر قتل أحد ابني آدم عليه السلام لأخيه بغير حقٍّ.

=إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة»، وقال ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: «رواه أحمد وابن ماجه وسنده حسن».

وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند أحمد: ٦: ٤٨١: إسناده صحيح، ورواه ابن ماجه: ١/ ٨٤ من طريق قتيبة بهذا الإسناد. وهناك أثرًا ذكره البيهقي: ١/ ١٩٧: عن هلال بن يساف قال: كان يقال: في كل شي إسراف حتى الطهور، وإن كان على شاطئ النهر. وهلال هذا ثقة تابعي، فكأنه يشير إلى هذا الحديث، وإلى أنه كان مشهورا بين السلف، والله أعلم.

(١) انظر: تفسير الرَّاغب الأصفهاني ٤/ ٣٣٣.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٢٤١، وبحر العلوم للسمرقندي ٣/ ١٩٠.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٤٧٢، وجامع البيان للطبري ١٠/ ٢٥٢، والكشَّاف للزمخشري ١/ ٦٢٧، ومفاتيح الغيب للرازي ١١/ ٣٤٥، ومدارك التَّنزيل للنسفي ١/ ٤٤٤، وغرائب القرآن للنَّيسابوري ٢/ ٥٨٢.

جاء في أنوار التَّنزيل: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: بعد ما كتبنا عليهم هذا التَّشديد العظيم من أجل أمثال تلك الجناية، وأرسلنا إليهم الرُّسل بالآيات الواضحة تأكيدًا للأمر، وتجديدًا للعهد، كي يتحاموا عنها، وكثيرٌ منهم يسرفون في الأرض بالقتل ولا يبالون به، وبهذا اتَّصلت القصَّة بما قبلها»[(١)].

ويُضاف إلى ما تقدَّم قرينةٌ أخرى: وهي أنَّ الآية وما سبقها من قصَّة ابني آدم عليه السلام إنَّما نزلت تسليةً للنَّبيِّ ﷺ عندما همَّ يهود بني النَّضير بقتله ﷺ بصخرة يُرسلونها عليه في حيِّهم، فأوحي إليه في ذلك فرجع إلى المدينة[(٢)].

جاء في المحرَّر الوجيز: «وخصَّ الله تعالى بني إسرائيل بالذِّكر وقد تقدمتهم أممٌ كان قتل النَّفس فيهم محظورًا لتلوح مذمَّتهم في أنْ كُتِب عليهم هذا وهم مع ذلك لا يرعوون ولا ينتهون، بل همُّوا بقتل النَّبيِّ ﷺ ظلمًا، فخُصُّوا بالذِّكر لحضورهم مخالفين لما كُتِب عليهم»[(٣)].

المثال الثَّالث: لفظ (التَّحريق) في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه: ٩٧].

اختلف المفسِّرون في معنى (لنحرِّقنَّه) هنا على قولين:

الأوَّل: أنَّه من الإحراق بالنَّار، واللَّفظ على هذا القول على معناه الحقيقي.

الثَّاني: أنَّه بمعنى لنبردنَّه بالمبارد، وذلك على استعمال العرب للفظ (حَرَق)

---

(١) ٢/ ١٢٤.

(٢) انظر: عيون الأثر لابن سيِّد النَّاس ٢/ ٧٠، وإمتاع الأسماع للمقريزي ١/ ١٨٨، وفقه السَّيرة النَّبويَّة للدُّكتور البوطي ص١٩٠.

(٣) ٢/ ١٨٢، وانظر: مفاتيح الغيب للرازي ١١/ ٣٤٣، ومحاسن التَّأويل للعلاَّمة القاسمي ٤/ ١١٥.

2

بمعنى: (برده بالمبرد)[١].

وقد احتَفت بهذه المفردة قرينةٌ مقاليَّةٌ وهي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا﴾، و(النَّسف): هو تذريةُ الرَّماد أو الغبار في الهواء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥﴾ [طه: ١٠٥][٢].

وقد اعتمد أصحاب القول الثَّاني على هذه القرينة في اختيارهم؛ وذلك لأنَّ العجل الَّذي أخرجه السَّامريُّ لبني إسرائيل إنَّما كان من حِلية القوم، وما كان كذلك لا يمكن أن يُنسف ويُذرى في الرِّيح إذا أُحرِق بالنَّار لكونه يذوب ذوبانًا، فتوجَّه أن يكون المعنى: **(لنبردنَّه بالمبارد)**[٣].

وقد يُضاف إلى ذلك قرينةٌ أخرى، وهي أنَّ الظَّاهر ممَّا فعله موسى عليه السلام بهذا العجل إنَّما كان تحقيرًا له إذ عُبِد من دون الله، فناسب ذلك إبطال الانتفاع بمادَّته رغم أنَّها من ثمين المتاع، وأن تسحق أجزاؤه، ثم يذرى في اليمِّ.

جاء في البحر المحيط: «وأقسم (لنُحرِّقنَّه)، وهو أعظم فساد الصُّورة، ثمَّ (لننسفنَّه) في اليمِّ حتى تتفرَّق أجزاؤه فلا يجتمع... وإنَّ أموال القبط قذفها الله في البحر بحيث لا ينتفع بها، كما قذف الله أشخاص مالكيها في البحر وغرَّقهم فيه»[٤].

وأمَّا أصحاب القول الأوَّل فبَنَوا اختيارهم على ما رُوِيَ من أنَّ العجل الَّذي اتَّخذه السَّامريُّ من الحُليِّ قد صار بعد ذلك لحمًا ودمًا وعظامًا، فذبحه موسى ثمَّ

---

(١) انظر القولين في: جامع البيان للطبري ١٨/ ٣٦٥، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٧٥، والهداية إلى بلوغ النِّهاية لمكي ٧/ ٤٦٤٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ٢٤٢.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص٨٠٢، ولسان العرب لابن منظور مادَّة (نسف) ٩/ ٣٢٧، وعمدة الحفَّاظ للسَّمين الحلبي ٤/ ١٧١.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب للرازي ٢٢/ ٩٧، واللُّباب في علوم الكتاب للنعماني ١٣/ ٣٧٨، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٤/ ٥٩٦.

(٤) ٧/ ٣٧٩

أحرقه بالنَّار[١].

وحملوا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾ على أنَّ موسى عليه السلام سحق عظام العجل بعد إحراقه بالنَّار، ثمَّ ذراها في اليمِّ[٢].

هذا وإنَّ ما تناقله المفسِّرون من تحوُّل العجل إلى لحم ودمٍ لا دليل عليه، والظَّاهر من كلام الله أنَّ العجل إنَّما كان جسدًا فقط بدون حياة، قال تعالى: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨﴾ [طه: ٨٨]، وأمَّا خواره فكان صوت الرِّيح في جوفه[٣].

فإذا ترجَّح أنَّ العجل بقي ذهبًا كان قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾ قرينةً قويَّةً على أنَّ المقصود بالتَّحريق في الآية: البردُ بالمبارد.

وقد حاول الإمام ابن عطيَّة[٤] رحمه الله تعالى حملَ الإحراق في الآية على الإحراق بالنَّار مع كون العجل قد بقي ذهبًا، فتأوَّل النَّسف في الآية بأنَّه رَميُ العجل في اليمِّ مذابًا فتتفرق أجزاؤه كأنَّه نُسِف، فقال: «روي أنَّ العجل صار لحمًا ودمًا، وعلى هذه الرِّواية يتركَّب أن يكون هناك حرقٌ بنارٍ، وإلَّا فإذا كان جمادًا من ذهب فإنَّما هو حرق بمبرد، اللَّهم إلَّا أن تكون إذابة، ويكون النَّسف مستعارًا لتفريقه في اليمِّ مذابا»[٥].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١٨/ ٣٦٦، وزاد المسير لابن الجوزي ٣/ ١٧٤، ومفاتيح الغيب للرازي ٢٢/ ٩٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٢٧٦.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي ٢٢/ ٩٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ٢٤٣، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٤/ ٥٩٦.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٢/ ٦٤، وبحر العلوم للسمرقندي ١/ ٥٢، والنُّكت والعيون للماوردي ١/ ١٢١.

(٤) ابن عَطِيَّة (٤٨١ ـــ ٥٤٢ هـ): عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطيَّة المحاربي، الأندلسيُّ الغرناطيُّ، أبو محمد، مفسر فقيه، عارف بالأحكام والحديث. من كتبه: (المحرَّر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز)، و(فهرس ابن عطيَّة). انظر: طبقات المفسِّرين للسُّيوطي ١/ ٦٠، والأعلام للزركلي ٣/ ٢٨٢، ومعجم المفسِّرين للشَّيخ عادل نويهض ١/ ٢٥٧.

(٥) المحرَّر الوجيز لابن عطية ٤/ ٦٢.

2

ولا يخفى أنَّ صرف النَّسف إلى هذا تكلُّف لا دليل عليه ولا حاجة إليه، والَّذي يظهر -والله أعلم- أنَّ التحريق في الآية إنَّما هو البرد بالمبارد، ولا يوجد ما يمنع من ذلك ما دامت العرب تستخدمه لهذا المعنى، وفي الآية قرينةٌ تحمله عليه.

المثال الرَّابع: لفظ (الفرقان) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩].

فالفرقان لغةً: مصدر فَرَقَ يفرُق ويفرِق، وهو الفصل بين شيئين والتَّمييز بينهما، ومنه سمِّي القرآن فرقانًا؛ لأنَّه فرَّق بين الحقِّ والباطل[(١)].

وقيل لمعركة بدر: يوم الفرقان، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ [الأنفال: ٤١]؛ لأنَّها فرَّقت بين الكفر والإيمان، وبين الحقِّ والباطل[(٢)].

واختلف المفسِّرون في معناها في هذه الآية على أقوالٍ مردُّها إلى قولين:

الأوَّل: النُّور، ومعنى الآية: (يجعل لكم نورًا تفرِّقون به بين الحقِّ والباطل).

الثَّاني: النَّصر والتَّمكين، ويكون معنى الآية: (يجعل لكم نصرًا وتمكينًا فيظهر حقُّكم وينطفئ باطل غيركم)[(٣)].

والحقَّ أنَّ لفظ (**الفرقان**) وإن كان يحتمل المعنيين معًا، ويصدق أن يكون كلٌّ من النُّور والنَّصر من عطاء الله تعالى للمتَّقين، إلَّا أنَّ حمله في هذه الآية على المعنى الثَّاني أولى

---

(١) انظر: العين للفراهيدي مادَّة (فرق) ٥/ ١٤٨، وتهذيب اللُّغة للأزهري مادَّة (فرق) ٩/ ٩٧، ولسان العرب لابن منظور مادَّة (فرق) ١٠/ ٣٠٣، وعمدة الحفَّاظ للسمين الحلبي ٣/ ٢٢٣.

(٢) انظر: تفسير عبد الرَّزَّاق ٢/ ١٢٣، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٥/ ١٧٠٦.

(٣) انظر القولين في: الكشف والبيان للثعلبي ٤/ ٣٤٨، وزاد المسير لابن الجوزي ٢/ ٢٠٤، وروح المعاني للألوسي ٥/ ١٨٤.

وأدقُّ، وذلك لكونه المعنى الأكثر انسجامًا مع سياق الآيات، فسابقُ الآية ولاحقها من أقوى القرائن الموجِّهة لدلالة الكلمة والجملة القرآنيَّة.

فقد سُبقت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦]، وجاء فيه لفظ (**النَّصر**) صراحةً كأحد مِنَن الله تعالى ونعمه على المؤمنين.

وفي تفسيرهم للآية يقول المفسِّرون: الآية تذكيرٌ من الله عزَّ وجلَّ لأصحاب رسول الله ﷺ، بفضل طاعة الله ورسوله، وما يجري ببركتهما من الخير لهم، كما فعل بهم إذ آمنوا به وأطاعوه وهم قليلٌ يستضعفهم الكفَّار، وينالونهم بالمكروه في أنفسهم وأعراضهم، وهم يخافون منهم أن يتخطَّفوهم فيقتلوهم، فجعل لهم مأوىً يأوون إليه منهم، وأيَّدهم بنصره، وقوَّاهم عليهم حتى قتلوا منهم من قتلوا يوم بدر[1].

وأمَّا بعدها فيخاطب الله تعالى نبيَّه ﷺ بقوله: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

والآية تذكيرٌ بما كان منه تعالى للنَّبيِّ ﷺ يوم الهجرة من النَّصر على من مكروا به، وكادوا له، فكان ذكر هذه المنَّة عقب قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا» بمثابة مَثلٍ لما يكتبه الله من النَّصر والتَّمكين والنَّجاة لعباده المتَّقين.

جاء في التَّحرير والتَّنوير في وجه العطف في قوله: (وإذ يمكر): «يجوز أن يكون عطفًا على قوله: «وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ»، فهو متعلِّقٌ بفعل (اذكروا)... فهذا تعدادٌ لنعم النَّصر الَّتي أنعم الله بها على رسوله ﷺ والمؤمنين، في أحوالٍ ما كان يظنُّ النَّاس أنْ يجدوا منها مخلصًا»[2].

المثال الخامس: لفظ (السَّيِّئات) في قوله تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ [النساء: ٣١].

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١٣/ ٤٧٦، وبحر العلوم للسمرقندي ٢/ ١٦، ومعالم التَّنزيل ٢/ ٢٨٤.

(٢) ٩/ ٣٢٧، وانظر: روح المعاني للألوسي ٥/ ١٨٤.

2

فالأصل في لفظ (السَّيِّئات): أنَّه يعمُّ الذُّنوب جميعها كبيرها وصغيرها، وقد استخدمها القرآن الكريم بمعنى الكبيرة، ومنه قوله تعالى في أعمال قوم لوط وهي الشِّرك، وإتيان الرِّجال، وقطع السَّبيل، وغيرها: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [هود: ٧٨][(١)].

وقد ذهب جماهير المفسِّرين إلى أنَّ (السَّيئات) في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: الصَّغائر[(٢)].

وعمدة أهل التَّفسير في تخصيصهم للفظ (السَّيِّئات) هنا بالصَّغائر: هي القرينة اللَّفظيَّة في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ فمع ذكره تعالى لاجتناب الكبائر في مطلع الآية لا تبقى السَّيِّئات إلَّا الصَّغائر بطريق المقابلة[(٣)].

جاء في التَّحرير والتَّنوير: «وقد دلَّت إضافة (كبائر) إلى (ما تنهون عنه) على أن المنهيَّات قسمان: كبائر، ودونها، وهي التي تسمَّى الصغائر، وُصِفَا بطريق المقابلة، وقد سُمِّيت هنا سيئات»[(٤)].

وفي التَّفسير الوسيط للشَّيخ الطَّنطاوي رحمه الله تعالى: «والمراد بالسَّيِّئات هنا: صغائر الذُّنوب، بدليل مقابلتها بالكبائر»[(٥)].

المثال السادس: لفظ (أنَّى) في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١٥/ ٤١٣، وبحر العلوم للسمرقندي ٢ / ١٦٣.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ٨/ ٢٥٤، والنُّكت والعيون للماوردي ١/ ٤٧٦، وتفسير الرَّاغب الأصفهاني ٣/ ١٢٠٨، والكشَّاف ١/ ٥٠٣، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٥٨، وأنوار التَّنزيل للبيضاوي ٢/ ٧١، ومحاسن التَّأويل للقاسمي ٣/ ٨٨.

(٣) **المقابلة**: أحد المحسِّنات البديعيَّة، وقد عرَّفه أبو هلال العسكري في الصِّناعتين ص٣٣٧ بأنَّه: «إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة».
وعرَّفه الباقلاني في إعجاز القرآن ص٢٨ بأنَّه: «أن يوفِّق بين معانٍ ونظائرها، والمضاد بضدِّه».

(٤) ٥/ ٢٦.

(٥) ٣/ ١٢٨.

وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فلفظ (أنَّى) من الألفاظ المشتركة[١]، وهو يحتمل معنيين:

الأوَّل: كيف، ويكون معنى الآية: كيف شئتم مقبلةً ومدبرةً إذا كان ذلك في موضع الحرث.

والثَّاني: أين وحيث، وبالتَّالي فإنَّه يجوز للرَّجل إتيان زوجته في غير موضع الحرث.

والَّذي عليه عامَّة المفسِّرين أنَّه هنا بالمعنى الأوَّل، وذلك لعدَّة قرائن[٢]:

١. سبب نزول الآية: فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كانَتِ اليَهُودُ تَقُولُ: إِذَا أَتَى الرَّجُلُ امرَأَتَهُ مِن دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا، كانَ الوَلَدُ أحوَلَ، فَنَزَلَت: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٢٣]»[٣]، وهذه قرينة حاليَّة.

٢. أنَّ (الحرث) هو مزدرع الذُّرِّيَّة، والمعلوم أنَّ زرع الولد لا يكون إلَّا في القُبُل، وهذه قرينة لفظيَّة اقترنت بهذا اللَّفظ المشترك[٤].

٣. أنَّ الآية السَّابقة خُتمت بقوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ومن التَّطهُّر عدم الإتيان في الأدبار.

جاء في المحرَّر الوجيز بعد حكاية هذا المعنى: «كأنه نظر إلى قوله تعالى حكاية

---

(١) **اللَّفظ المشترك**: هو اللَّفظ الواحد الدَّالُّ على معنيين مختلفين أو أكثر دلالةً على السَّواء. انظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ٢/ ٣٧٧.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري ٤/ ٤٠٠، وبحر العلوم للسمرقندي ١/ ١٤٧، والوسيط للواحدي ١/ ٣٢٩.

(٣) أخرجه البخاريُّ في صحيحه في التَّفسير، باب: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، برقم (٤٥٢٨)، ومسلم في صحيحه في النِّكاح، باب: جواز جماعه امرأته في قُبُلها، من قدَّامها ومن ورائها من غير تعرُّض للدُّبر، برقم (٣٥٢١)، واللَّفظ لمسلم.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٩٣، وروح المعاني للألوسي ١/ ٥١٨.

2

عن قوم لوط: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٨٢﴾ [الأعراف: ٨٢]»[١].

المثال السَّادس: لفظ (الخير) في قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٢﴾ [البقرة:٢٧٢].

فالخير: ضدُّ الشَّرِّ، ويُفسَّرُ بأنَّه ما يحصلُ ممَّا هو نفعٌ محضٌ للإنسان وغيره[٢]، كالرَّخاء، وصحَّة الجسم، وطيب المعيشة، وما إلى هنالك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحج: ١١][٣].

وقد اتَّفق أهل التَّفسير على أنَّ (الخير) في قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡ﴾: هو المال؛ وذلك لاقترانه بلفظ (الإنفاق)، فقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ﴾ قرينةٌ لفظيَّة دلَّت على أنَّ الخير هنا إنَّما هو المال[٤].

وكذلك ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٞ ٨﴾ [العاديات: ٨] فمن فسر الخير بالمال[٥]:

قال الإمام القرطبيُّ[٦] رحمه الله: «والخير في هذه الآية: المال؛ لأنَّه قد اقترن بذكر الإنفاق،

---

(١) ١/ ٢٩٩.

(٢) انظر: مختار الصِّحاح للرازي مادَّة (خير) ص٩٩، ولسان العرب لابن منظور مادَّة (خير) ٤/ ٢٦٤.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ١١٧، والكشف والبيان للثعلبي ٧/ ١٠، والجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٨.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٢٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي ١/ ١٨١، والمحرَّر الوجيز لابن عطية ١/ ٣٦٨.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٦٧.

(٦) **القرطبي** (٠٠٠ ـــ ٦٧١ هـ): محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار المفسرين، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه: (الجامع لاحكام القرآن) ويُعرف بتفسير=

فهذه القرينة تدلُّ على أنَّه المال، ومتى لم تقترن بها يدلُّ على أنَّه المال فلا يلزم أن يكون بمعنى المال»[١].

وفيه ردٌّ على من زعم أنَّ كلَّ (خيرٍ) في كتاب الله تعالى هو المال[٢]، وفي الجواهر الحِسان: «الخير هنا: المالُ بقرينة الإنفاق... وهذا الذي قلْناه تحرُّزٌ من قول عِكرِمَةَ: كلَّ خَيرٍ في كتابِ اللهَّ، فهو المالُ»[٣].

* * *

=القرطبي، و(التذكار في أفضل الأذكار)، و(التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة)، وغيرها كثير. انظر: الديباج لابن فرحون ص٣١٧، والأعلام للزركلي ٥/ ٣٢٢.

(١) الجامع لأحكام القرآن للطبري ٣/ ٣٣٩.

(٢) نسب ابن عطيَّة في المحرَّر الوجيز ١/ ٣٦٨ هذا القول لعكرمة تلميذ ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٣) ١/ ٥٢٩.

الخاتمة
ونتائج البحث

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فهذه جولة متواضعة في ما تفرق في المصادر والمراجع ممَّا يؤكِّد الأثر الكبير للقرائن في توجيه دلالة المفردة القرآنيَّة، ويُظهر اعتماد أئمة التَّفسير عليه في هذا الشَّأن، وقد تمخَّض هذا البحث عن جملة هامَّة من النَّتائج.

أولًا: تُعدُّ القرائن أصلًا عظيمًا من الأصول الَّتي يعتمد عليها أهل التَّفسير في فهم المفردة ثمَّ الجملة القرآنيَّة، وملاحظة تلك القرائن تحفظ كتاب الله من الأفهام المغلوطة الَّتي قد تأخذ بالآية إلى معنى لا يتَّفق مع المعنى الَّذي أراده الله تعالى في التَّنزيل.

ثانيًا: المختار في تعريف القرينة أنها: «ما يحتفُّ بالنَّصِّ فيؤثِّر في دلالته، أو ثبوته، أو إحكامه، أو ترجيحه، والعلماء قسَّموا القرائن إلى أقسام عدّة باعتبارات مختلفة، كالقوة، والاعتبار، والمصدر، والهيئة، والعمل، والظُّهور، والاستقلال.

ثالثًا: أثر القرائن في دلالة المفردة القرآنيَّة متعدِّد، فقد تفيد حصر المعنى في أحد محتملاته، أو ترجِّح أحد المعاني على غيرها، أو تُخصِّص اللَّفظة ببعض ما تصدق عليه.

رابعًا: من أسباب وقوع الاختلاف بين المفسرين والفقهاء اختلاف العلماء في تحديد القرائن في ترجيح المعنى المراد من اللفظة القرآنية.

وأخيرًا: لابدَّ من زيادة العناية بهذا الموضوع بزيادة شواهده من القرآن الكريم،

وتطبيقه على السُّنَّة النَّبويَّة كذلك، حيث إنَّ قيمة ملاحظة القرائن واستحضارها لا تقتصر على فهم القرآن الكريم فحسب، بل تتناول الكلام كلَّه، وأولى الكلام بملاحظة ذلك فيه بعد كلام الله تعالى كلام النَّبيِّ ﷺ، لما يترتَّب عليه من تشريعٍ وأحكام.

* * *

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الإبهاج في شرح المنهاج، لتقيِّ الدِّين السبكي، وولده تاج الدين السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢. الإتقان في علوم القرآن، للسُّيوطي، تحقيق محمَّد إبراهيم، دار الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٣. أثر القرائن في العقود في الفقه الإسلامي، للدُّكتور فادي شحيبر، دار المقتبس، بيروت لبنان، عام ٢٠١٨م.

٤. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، مطبعة السُّنَّة المحمَّديَّة.

٥. إعجاز القرآن، للباقلاني، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م.

٦. الأعلام، للزِّركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطَّبعة الثَّامنة، ١٩٨٩م.

٧. إمتاع الأسماع، للمقريزي، تحقيق محمَّد النميسي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٩. إيضاح المكنون، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.

١٠. بحر العلوم، للسَّمرقندي، مطبعة السَّنَّة المحمَّديَّة.

١١. البحر المُحيط، لأبي حيَّان الأندلسي، اعتنى به صدقي محمَّد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.

١٢. البحر المحيط في أصول الفقه، للإمام الزَّركشي، دار الصَّفوة، القاهرة، الطَّبعة الثَّانية، ١٩٩٢م.

١٣. البرهان في أصول الفقه، للإمام الجويني، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، تحقيق محمَّد علي النَّجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، القاهرة.

١٥. تاج العروس من جواهر القاموس، للزُّبيدي، دار الهداية.

١٦. التَّحرير والتَّنوير، لابن عاشور، مؤسسة التَّاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٧. تذكرة الحفَّاظ، للذَّهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٨. تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق د. محمَّد بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٩. تفسير عبد الرزاق، تحقيق د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٠. تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني، تحقيق ياسر إبراهيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢١. تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زَمَنِين، تحقيق حسين عكاشة، ومحمد الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٢. تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطَّيِّب، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٣. تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، قدَّم له عبد القادر الأرناؤوط، دار السَّلام، الرِّياض، الطَّبعة الثَّانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٤. تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، للشَّيخ محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى.

٢٦. تفسير يحيى بن سلام، تحقيق د. هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٧. تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٢٨. جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطَّبري، تحقيق أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرِّسالة، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٩. الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، تحقيق د. محمَّد ابراهيم الحفناوي، و د. محمود حامد عُثمان، دار الحديث، القاهرة، الطَّبعة الثَّانية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣٠. جماليات المفردة القرآنية، للشَّيخ أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٣١. جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٣٢. الجواهر الحِسان في تفسير القرآن، للشَّيخ عبد الرَّحمن الثَّعالبي، تحقيق أبي مُحَمَّد الغماري، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٣٣. الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمَّد ضان، دار صيدر أباد، الهند، الطَّبعة الثَّانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٣٤. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون اليعمري، تحقيق الدكتور محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

٣٥. الرامز على الصحاح، للسيد محمد بن السيد حسن، تحقيق د. محمد علي الردينى، دار أسامة، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٣٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، للعلاَّمة الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطيَّة، دار الكُتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٧. زاد المسير في علم التَّفسير، للإمام ابن الجوزي، تحقيق أحمد شمس الدِّين، دار الكُتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٨. سير أعلام النبلاء، للذَّهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٩. الصِّحاح، للجوهري، تحقيق خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.

٤٠. صحيح البُخاري، للإمام البُخاري، دار أبي حيَّان، القاهرة، الطَّبعة الأولى ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.

٤١. صحيح مُسلم، للإمام مُسلم، تحقيق الشِّيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطَّبعة العاشرة، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م.

٤٢. كتاب الصناعتين الكتابة والشِّعر، لأبي هلال العسكري، تحقيق علي البجاوي، ومحمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩ هـ.

٤٣. طبقات المفسرين، للسيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦ هـ.

٤٤. عمدة الحفَّاظ، للسَّمين الحلبي، تحقيق محمد باسل عيون السود،، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م.

٤٥. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٤٦. عيون الأثر، لابن سيِّد النَّاس، تحقيق إبراهيم رمضان، دار القلم، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٤٧. غرائب القرآن، للنَّيسابوري، تحقيق زكريَّا عميرات، دار الكُتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى،

١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٤٨. فقه السِّيرة النَّبويَّة، للدُّكتور محمَّد سعيد البوطي، دار الفكر، دمشق، الطَّبعة الخامسة والعشرون، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٤٩. الفواتح الإلهية، للشيخ علوان، دار ركابي للنشر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٥٠. القرائن عند الأصوليِّين، للدُّكتور محمَّد المبارك، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، الطَّبعة الأولى ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٥١. القرائن وأهمِّيَّتها في بيان المراد من النَّصِّ، للدُّكتور نزار جان بنتن، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٥٢. كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتَّهانوي، تحقيق د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٥٣. الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، للإمام الزَّمخشري، تحقيق الدَّاني بن منير آل زهوي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٥٤. الكشف والبيان، للإمام الثَّعلبي، تحقيق سيِّد كسروي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٥٥. الكليَّات، لأبي البقاء الكفوي، دمشق، الطبعة الثَّانية، ١٩٨٢م.

٥٦. اللباب في علوم الكتاب، للإمام أبي حفص الدمشقي النعماني، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م

٥٧. لسان العرب، لابن منظور، تحقيق أبي القاسم محمَّد كرو، دار صادر، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٥٨. لسان الميزان، للإمام ابن حجر العسقلاني، دار الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥٩. محاسن التأويل، للعلَّامة القاسمي، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٦٠. المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام ابن عطيَّة، تحقيق عبد السَّلام محمَّد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٦١. المحصول، للرَّازي، تحقيق د.طه العلواني، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٦٢. مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل، للنَّسفي، تحقيق يوسف بديوي، دار الكلم الطَّيِّب، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٦٣. المدخل الفقهي العام، للأستاذ مصطفى الزَّرقا، دار الفكر، بيروت، الطَّبعة التَّاسعة، ١٩٨٦م.

٦٤. المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شُعيب الأرناؤوط، دار الرِّسالة، الطَّبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٦٥. مصباح الزجاجة، للبوصيري، تحقيق محمد الكشناوي، دار العربيَّة، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦٦. معالم التَّنزيل، للبغوي، تحقيق عبد السَّلام محمَّد شاهين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٦٧. معاني القرآن وإعرابه، للإمام الزَّجَّاج، تحقيق أحمد فتحي عبد الرَّحمن، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى،١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٦٨. مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

٦٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، للدُّكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٧٠. معجم المفسرين، للشيخ عادل نويهض، مؤسسة نويهض، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨م.

٧١. المعجم الوسيط، مجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة، دار الدَّعوة، القاهرة.

٧٢. مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدِّين الرَّازي، تحقيق إبراهيم شمس الدِّين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٢م.

٧٣. مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني، تحقيق صفوان الدَّاودي، دار القلم، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٧٤. المفردة القرآنية بين إبداع اللفظ وإبداع الدِّلالة، للدُّكتور ممدوح إبراهيم محمَّد، المجلَّة العلميَّة للغة العربيَّة بأسيوط، العدد الخامس والثَّلاثون، الجزء الأوَّل، ٢٠١٦م.

٧٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج، للإمام محيي الدِّين النَّووي، تحقيق الشَّيخ خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطَّبعة العاشرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٧٦. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، تحقيق محمَّد الرَّاضي، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٧٧. النِّهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة

العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٨. الوجوه والنَّظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، للإمام الدَّامغاني، تحقيق فاطمة الخمي، دار الفارابي، دمشق، الطَّبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٧٩. النُّكت والعيون، للإمام الماوردي، تحقيق عبد المقصود بن عبد الرَّحيم، دار الكُتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٨٠. الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي، تحقيق مجموعة من طلاب الدراسات العليا، إشراف د.الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٨١. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٨٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، دار الثقافة، بيروت.

* * *